الدلالة الزمنية للجملة الخبرية في سورة يوسف (عليه السلام) (*)

الاستاذ الدكتور
عبد الباسط خليل محمد

الاستاذ المساعد الدكتور **المدرس المساعد**
فالح حمد أحمد **آمنة احمد عباس**

جامعة البصرة – كلية التربية

تميزت جمل القرآن الكريم بخصائص ميزتها عن كل منظوم ومنثور ، فجاءت متناسقة متلائمة منسجمة إذ كل جملة تؤدي في معناها الى معنى الجملة التي تليها ومرتبطة مع ما تسبقها من جمل . وهكذا ترى القرآن الكريم مسترسلا في آياته فيأتيك مرة مخبرا ومرة ناهيا مستفهما أو مؤكدا. وكل هذا لم يأت اعتباطا ، بل جيء به في الآيات القرآنية لشد انتباه السامع وإثارة فكره وتأملاته بجمل القرآن الكريم وتناسقه البلاغي العجيب . فترى فيه – بسبب تنوع جمله الكريمة – الإثارة والحركة والانفعال ، كما تجد فيه الهدوء والسكينة وكل هذا يعود الى التناسق بين آياته والانسجام بين الأسلوب والسياق الذي ترد فيه الآيات .

وقبل الخوض في أنواع الجمل ، لا بد من التعرف على ما تعنيه الجملة ومعروف عن الجملة بأنها وسيلة الاتصال بين المتكلم والمخاطب ، وبها يفهم الأخير ما يدور في ذهن المتكلم من معان وأفكار فتأتي الجملة بألفاظها المتناسقة والمنسجمة لتوضح المراد من قصد المتكلم ، ويشترط فيها الإفادة بالمعنى والإفهام .

فالكلام أو الجملة ((هو ما تركب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد))[١] . فيشترط في تركيب أية جملة أن تتألف من عناصر متلائمة لتؤدي بتلاؤم عناصرها الى معنى الإفادة الذي يحسن السكوت عليه .

وعناصر الجملة هي: –

((١ – المفردة : – ونعني بها كل كلمة على وجه العموم فإن كل جملة تتألف من مفردات مثل رجل ، نور ، يبيع ، سوف .

٢ – البنية أو الصيغة الصرفية : – فإن لكل صيغة معنى يختلف عن معنى الصيغ الأخرى كالفعل واسم الفاعل ...، ثم إن أبنية كل باب تختلف فيما بينها في الدلالة ، فأبنية الصفة المشبهة تختلف فيما بينها في الدلالة وكذلك أبنية المبالغة وأبنية المصادر والجموع وغيرها .

٣ – التأليف بنوعيه : – أ / التأليف الجزئي

ب / التأليف التام كالتقديم والتأخير والذكر والحذف والتوكيد وعدمه والتنكير والتعريف وما الى ذلك من وجوه التأليف .

٤ – النغمة الصوتية : – وهي تدل على معنى ما ، فالجملة الواحدة قد يختلف معناها من الإخبار الى الاستفهام الى التعجب ومن التعظيم والتفخيم الى التقليل و التحقير كل ذلك بحسب النغمة الصوتية))[٢]. فهذه العناصر الأربعة حين تتآلف وتتناسق ، تكون قد كونت لنا جملة تامة المعنى متكاملة الأطراف .

والكلام أما خبر أو إنشاء،والخبر ((هو كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته))[٣]، أما الإنشاء فهو ((الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه))[٤] . والمقصود بـ (لذاته) أي ((بغض النظر عن قائله))[٥] فكل النصوص تدرس على إنها نصوص أدبية ولا علاقة لقائلها بها ، بمعنى إننا عندما ندرس الآيات القرآنية لنشير الى الخبر والإنشاء فيها ندرسها نصا أدبيا لا علاقة له بقائله ، وعلى العموم فإن رأي الجمهور في صدق الخبر وكذبه هو إن ((صدقه مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له ، هذا هو المشهور وعليه التعويل))[٦] .

والكلام الخبري يعتمد على جهتين هما المتكلم والمخاطب وعلى أساسهما يقسم الخبر على ثلاثة أضرب (ابتدائي ، وطلبي ، وإنكاري) وذلك بحسب حال المخاطب من جهله للخبر أو شكه فيه أو إنكاره له ، فلا بد من مراعاة حال المخاطب في إلقاء الخبر له

دون مؤكد إذا كان المخاطب خالي الذهن أي جاهلا بالخبر ، وقد يؤكد بمؤكد واحد أو أكثر بحسب شك المخاطب بالخبر أو إنكاره له .

وعلى أساس الخبر والإنشاء في الكلام تقسم الجمل على : –

١ – جمل خبرية اسمية أو فعلية قد تكون مثبتة أو منفية أو مؤكدة .

٢ – جمل إنشائية ، طلبية (استفهام ، أمر ، نهي ، نداء ... الخ) وغير طلبية (مدح ، ذم ، قسم ، تعجب ... الخ) .

وما يهمنا في دراسة السورة هي الجمل الخبرية الفعلية والاسمية فقط . وخلاصة القول إن لكل من الخبر والإنشاء أثره المميز في القرآن الكريم ولكل منهما دوره الخاص به في خلق الإثارة والتأثير في النص القرآني الكريم كما سنراه فيما يأتي من البحث .

الجمل الخبرية الفعلية والاسمية :

حملت الآيات القرآنية في سورة يوسف دلالات وأبعادا لها صداها وميزاتها ، وذلك بجملها المتراصفة والمنسجمة مع السياق ، وإن ذلك التماسك والانسجام بين الجمل في الآيات المباركات يعود الى تناسقها مع المقام والموقف الذي يلائمها ويشترك معها في تحقيق الهدف الذي ترمي إليه ، وإظهار المعنى الذي تقصده . فتلاحظ في السورة المباركة إن الإدلاء بالخبر يتم بجمل فعلية حينا واسمية حينا آخر . والجمل الفعلية لا تأتيك على صيغة واحدة بل تجد التنوع في الصيغ ، وذلك لأن لكل صيغة دلالتها الخاصة . وهذا انسجام مع مقاصد السورة القرآنية المباركة . إذن لا بد من التعرف على دلالات الصيغ في الجمل الفعلية ، ودلالة الاسم في الجمل الاسمية .

أولا : الفعل ودلالته الزمنية في الجمل الخبرية : –

إن للفعل في اللغة العربية معنيين هما الحدث والزمن ، ويرتبط كل منهما بالآخر . فإن ذلك الحدث لا بد له من زمن لوقوعه ، فقد يكون الفعل قد وقع في زمن مضى وانتهى فتكون عندئذ دلالة الفعل الزمنية المضي ، وقد يكون الفعل وقع في زمن التكلم أو سيقع في المستقبل فتكون دلالة الفعل الزمنية (الحال والاستقبال) ، وعليه تكون للأفعال علاقة بحياة الإنسان والتجارب التي يمر بها لـ (إن الإنسان في نشأته ، مر في

أطوار ومراحل ، وشهد تجارب كثيرة بعدها استقرت الفكرة الزمنية في ذهنه واحتاج للتعبير عنها الى كلمات مستقلة تدل على الماضي أو تدل على المستقبل)[٧].

إذن الدلالة الزمنية للفعل ترتبط بالمتكلم والأحداث التي يمر بها كما ترتبط بالسياق الذي ترد فيه .

ويأتي الزمن في الأفعال على مستويين ((المستوى الصرفي من شكل الصيغة والمستوى النحوي من مجرد السياق ، ومعنى إتيان الزمن على المستوى الصرفي من شكل الصيغة إن الزمن هنا وظيفة الصيغة المفردة ومعنى إن الزمن يأتي على المستوى النحوي من مجرى السياق إن الزمن في النحو وظيفة السياق لا وظيفة الفعل ، لأن الفعل الذي على صيغة فعل يدل في السياق على المستقبل والذي على صيغة المضارع قد يدل على الماضي))[٨]

إذن الزمن في الفعل جزء من الصيغة المفردة . ولكنك في الجمل لا تدرس صيغة مفردة ، وإنما تدرس صيغة ضمن سياق معين وهذا السياق هو الذي يعين على فهم الزمن على نطاق أوسع ، لأن ((صيغة فعل ونحوها مقصورة على الماضي وإن صيغتي يفعل وأفعل ونحوهما أما أن يكونا للحال أو للاستقبال فلا يتحدد لأي منهما أحد المعنيين إلا بقرينة السياق ، لأن السياق يحمل من القرائن اللفظية والمعنوية والحالية ما يعين على فهم الزمن في مجال أوسع من مجرد المجال الصرفي المحدد))[٩]. إذن الزمن عامة هو من وظائف الصيغة الصرفية المفردة في الأفعال . ولكن إذا ما دخل الفعل ضمن سياق ففي هذه الحالة سوف يكون الزمن من وظيفة السياق . وعليه فإن للفعل زمنا خاصا بالصيغة ذاتها ، وزمنا عاما يكون أوسع من زمن الصيغة .

ومن خلال هذه الدلالة الزمنية للصيغتين ، وبعد البحث والتأمل في الجمل الفعلية للسورة توصلت الى إنه قد يخبر بصيغتي (فعل ويفعل) معا في الجملة الواحدة مما يحمل دلالات تختلف عما إذا أخبر عن إحدى الصيغتين بدلا من الأخرى بالاستغناء عما محذوف بما ذكر . ولكل من الحالتين دلالاته الخاصة به كما سنعرف فيما يأتي .

١ – دلالة الجمع بين صيغتي (فعل ويفعل) في الجملة :

فيما تقدم عرفنا إن الزمن جزء من أجزاء الفعل مما يجعله يتميز عن الاسم ، وبناء على زمنيته الملازمة له التي لا تفارقه يأتيك بمعان ودلالات في الجمل القرآنية

خاصة إذا ما جمع بين صيغتين في الجملة الواحدة ويحمل هذا الجمع دلالتين هما (التأكيد والاستمرار) .

أ – التأكيد : – تأكيد على إن الفعل موجود في المتحدث عنه ، وذلك حين يريد القرآن تأكيد أمر ما وإثباته لدى الفاعل ، إذ نجد ذلك واضحا في تأكيد القرآن لوجود علم يوسف (عليه السلام) بأنباء الغيب بالإخبار عنها بالفعل الماضي (نبأتكما) إذ أخبر عن الأنباء بالماضي كما في قوله تعالى ((قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي ...))[١٠] ، فإذا أمعنت النظر في الآية الكريمة وجدت إن الله سبحانه وتعالى قد أخبر – على لسان يوسف (عليه السلام) عن اتيان الطعام بالفعل المستقبلي فيما أخبر عن التأويل بالفعل الماضي ، والسبب في ذلك يعود الى إن القرآن الكريم قصد من وراء ذلك تأكيد وجود علمية يوسف (عليه السلام) بالأمور الغيبية التي يوحيها إليه جبريل (عليه السلام) ، وإن تلك العلمية هي الهام من الله سبحانه وتعالى .

علما إن ذلك التأكيد في إثبات الأمر قد استفيد من صيغة الماضي في الآية الكريمة لأنها في أصل معناها تدل على إن الفعل واقع ومتحقق وبهذا المدلول الأصلي لصيغة الماضي تكون الآية بمثابة تمهيد لكسب ثقتهما به واستقبال كل ما يقوله لهما برحابة صدر من غير نفور منه في ((إنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ... وجعل ذلك تخلصا الى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما ، ويقبح إليهما الشرك بالله . وهذه طريقة كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية والإرشاد أولا ويدعوه الى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استقى فيه))[١١] . والأمر الذي أريد تأكيده في الآية هو إثبات ووجود علمية النبي يوسف (عليه السلام) بما يوحيه إليه الرب تعالى وإثبات نبوته ووجودها فيه عندما كان يتحدث مع السجينين في السجن .

ب – الاستمرار والتجدد : – وهنا الصورة تنقلب إذ يتم الإخبار بالماضي ثم المستقبل ، إذا كان المراد استمرارية الفاعل حتى يصبح سجية فيه وهذا أكثر ما يكون في مقام الحديث عن الإيمان والتقوى والعبادة كما في قوله تعالى ((ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون))[١٢].

فتلا الفعل المستقبلي الفعل الماضي وذلك حملا على استمرارية التقوى والإيمان عند النبي يوسف (عليه السلام) لأن الآية جاءت في حقه جزاء على إحسانه (عليه السلام) . فدل الجمع بين الصيغتين على إنه كان وما زال مستمرا على إيمانه وتقواه (عليه السلام) . وجاءت بصيغة الجمع لأن القرآن عام وليس خاصا في إلقاء خبره ولا يقصد واحدا بعينه وإنما يقصد عموم المؤمنين والأتقياء الذين يستمرون بإيمانهم وتقواهم فهم مشمولون بذلك الجزاء من نعمة الدنيا والآخرة فترى القرآن الكريم يخبر بالماضي ثم المستقبل إذا أراد الاستمرار بالفعل .

وهكذا ترى القرآن الكريم يجمع بين الصيغتين عندما يقدم إحداهما على الأخرى وكل ذلك يكون تابعا للمقام ، فإذا كان المقام مقام تأكيد لوجود الفعل في صاحبه أخبر بالمضارع ثم الماضي ، أما إذا كان المقام في الحديث عن الإيمان والتقوى والعبادة بأنها أمور ثابتة في صاحبها باستمراره عليها أخبر بالماضي ثم المضارع ومن ثم فإن كل صيغة ستؤثر في الأخرى بما يخدم السياق وهذا ما تميز به القرآن الكريم في التنسيق بين المقام ومدلول الأفعال التي يخبر بها عنه والتي تأتي خدمة لذلك المقام الواردة فيه . فحين يراد تأكيد وجود الفعل يخبر بالمضارع ثم الماضي ، وحين يراد الاستمرار يخبر بالماضي ثم المضارع . وذلك لأن مدلول الصيغة المتأخرة تضرب الصيغة المتقدمة من مدلولها بتأثير السياق .

٢ – دلالة الاستغناء عن إحدى الصيغتين بالأخرى :

فيما تقدم من الآيات القرآنية الكريمة ذكرت الصيغتان وقدمت إحداهما على الأخرى فقد كان ذلك تابعا لاختلاف المقامات التي ترد فيها الجمل . ولكن هنا نلاحظ إن القرآن الكريم يستغني عن إحدى الصيغتين بالأخرى ، كما في قوله تعالى ((اقتربت الساعة وانشق القمر))[١٣] ، وقوله تعالى ((أتى أمر الله فلا تستعجلوه))[١٤] أيضا .

ففي الآيتين الكريمتين المتقدمتين أمور مستقبلية لكن أخبر عنها بلفظ الماضي وذلك ((إنه في أسلوب التأكيد يحسن أن تستعمل تلك الصيغة المسماة بالماضي في كل الأحداث المستقبلية))[١٥].

فترى القرآن الكريم في مقامات التأكيد والأمور الواقعة مستقبلا التي فيها تهويل كيوم القيامة ومشاهده يعدل فيها من التعبير عن المستقبل الى الماضي ، وذلك لكي يؤكد

تحقيق وقوعها وكأنما وقعت فعلا . وكل ذلك يعود لما تحمله (صيغة فعل) من مـــدلول على إن الحدث وقع وانتهى في زمن مضى فيؤتى به للإخبار عن الأمور المستقبلية التي هي واقعة لا محالة تأكيدا لوقوعها ، فكأنما هي وقعت فعلا .

والفرق بين الاستغناء عن إحدى الصيغتين وبين الإخبار بالجمع بينهما مع إنهما دلا على التأكيد . إن في الاستغناء يكون المقام حديث عن أهوال يوم القيامة والتي هـــي أفعال واقعة فتؤكد بالاستغناء عن صيغة الاستقبال بالماضي على وقوعها في حين بالجمع فإن المقام مقام حديث عن شخص يمتلك صفة معينة يعبر عنها بالجمع بـــين الـــصيغتين ليؤكد وجودها فيه ولا يفوتنا إن كلا من الإخبار بالجمع بين الصيغتين أو الاستغناء عـــن إحداهما بالأخرى هو ما يفرضه السياق الذي يرد فيه الخبر ، فإذا كان السياق عن أفعال واقعة فيؤكد وقوعها بالاستغناء عن إحداهما بالأخرى التي تحمل دلالة وقوع الشيء تأكيدا عليه . وإذا كان السياق عن أفعال موجودة في صاحبها كالصفة فيه فتؤكد بـــالجمع بـــين الصيغتين على وجودها لأنها أفعال موجودة وليست واقعة .

لكننا في سورة يوسف نجد العكس ، حيث تم الإخبار عن الماضي بالمستقبل لأن المقام مقام مدح له (عليه السلام) وذكر صفاته الحسنة ، أو مقام لحدث وقع وأريد تخيل حدوثه . وبما إن المقامين كانا يتحدثان عن المدح والتـــصوير فكـــان الإخبـــار بـــصيغة المستقبل أبلغ من صيغة الماضي لأن ((الفعل المستقبل إذا أتى به في حالة الإخبار عـــن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي ، وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة ، حتى كأن السامع يشاهد وليس كذلك الفعل الماضي))[١٦].

وقد استغني في الخبر عن الماضي بالمستقبل في السورة لدلالتين هما : –

١ – الاستمرار .

٢ – تصوير المشهد واستحضاره كما لو إنك تشاهده .

١ – الدلالة على الاستمرار في الفعل : – وذلك يكون في : –

أ – إن الفعل غير محدد بوقت أو بمدة محددة وذلك في فعل المشيئة التي لا يعبر عنها إلا بصيغة الاستقبال كما في قوله تعالى ((فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه .... نرفع درجـــات

من تشاء ...))[١٧] أي ((نشاء رفعه حسبما تقتضيه وتستدعيه المصبحة كما رفعنا يوسف (عليه السلام))[١٨] .

وبما إن المقام هو مقام حديث عن مشيئة الله سبحانه وتعالى في رفع درجات المستحقين فأخبر بصيغة الاستقبال مع إن الحدث بالماضي ، وذلك ليدل به على استمرارية مشيئته سبحانه وتعالى برفع درجات المستحقين لها في كل الأوقات وليس مختصة بوقت محدد .

فصيغة الاستقبال هنا تدل على الاستمرارية في حدوث الفعل فيما سبق ولحق ولو أخبر بالماضي على الوضع الأصلي لتحددت مشيئته سبحانه وتعالى بزمن مضى وانتهى ، ولكنها ليست كذلك فأخبر عنها بالمستقبل لاستمراريتها.

ب – وقد يصبح الفعل نتيجة الاستمرار عليه سجية ثابتة في الفاعل كما في قوله تعالى على لسان النسوة في حديثهن عن مراودة امرأة العزيز ليوسف (عليه السلام) ((وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ..))[١٩] أي إن الفعل قد وقع فيما مضى ولكنه أخبر عنه بصيغة الاستقبال ليدل من خلال ذلك على إنها ما زالت مستمرة في مراودتها له بالرغم من إنه رفض ذلك وأباه على نفسه واستعاذ بالله منها .

فبهذه الصيغة الاستقبالية الدالة على التجدد والاستمرار نستدل على إنه ((دوام المراودة صارت سجية لها))[٢٠]. وبهذه الصيغة الاستقبالية تحول الفعل باستمراريته من حدث الى صفة ثابتة فيها نتيجة لدوامها عليها .

ج – وقد تدلك الصيغة الاستقبالية على إن الفعل يحدث في أوقات متجددة مع إنه واقع في الماضي . فكأنما الفعل يحمل سمة الاستمرار التجددي كما في قوله تعالى ((ولما جهزهم بجهازهم ... ألا ترون أني أوفي الكيل ..))[٢١] فجاءت الآية الكريمة على لسان يوسف (عليه السلام) لأخوته بعد أن أكمل لهم التجهيز ، فكان المفروض أن يأتي بصيغة الماضي تناسبا مع زمن حدوث الفعل ، لكنه جاء بصيغة الاستقبال ليدل على إن ذلك الفعل هو حادث وسيحدث في المستقبل . أي صفة متجددة تحدث فيما سبق وفيما لحق تناسبا مع المقام .

وهكذا ترى إن صيغة الاستقبال تظهر لك الاستمرار والتجدد بالفعل مع إنه واقع في الماضي – وذلك تناسبا مع المقام .

٢ – تصوير المشهد واستحضاره كما لو أنك تشاهده :

كما في قوله تعالى ((ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا ... إنا نراك من المحسنين))[٢٢] ، وقوله تعالى ((قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون))[٢٣] .

فتلاحظ في رؤيا الساقي والخباز قد أخبر بالمستقبل في حين إن رؤياهما قد وقعت في زمن المنام وانتهت ، وإنما عدل عن صيغة الماضي الى المستقبل وذلك ليجعل القارئ يتخيل رؤياهما وكأنها واقعة في زمن التكلم . وهذا يعود الى صيغة الاستقبال التي دلت على دلالة جديدة هي التخيل واستحضاره صورة الفعل وحركته وهذا ما تجده في الآية الثانية ، فلم يقل (ماذا فقدتم) على الوضع الأصلي للحدث في الجملة على إنه وقع وانتهى ، ولكن القرآن الكريم أراد أن يثير الحركة والإثارة بهذه الآية الكريمة وحدثها فجاء بصيغة الاستقبال بدلا من الماضي حتى تجعل المتلقي يتخيل ما فقدوه ويشاهدهم كأنهم يبحثون عما فقدوه وهذه الإثارة لا تجدها في صيغة الماضي .

هذا وللسياق أثر بارز ومهم في كيفية الإدلاء بالخبر وكيفية الجمع بين الصيغتين في ذلك الخبر ، أو الاستغناء عن إحداهما بالأخرى وخدمتها للسياق تكون تبعا لمدلولاتها الخاصة بها ، وعندما تجتمع هذه الصيغ مع غيرها من الكلمات في سياق فإنها ستعطينا هي وما اجتمعت معه معاني تغني السياق وتفي بالغرض القرآني ومقاصده الجليلة .

ثانيا / الإخبار بالاسم وأبعاده في الجملة : –

الاسم هو الأساس في الجمل الخبرية وإذا ما أخبر بالفعل فهذا يعود الى مقاصد قرآنية سبق التحدث عنها فيما مضى ، والاسم في الجملة الخبرية قد يكون ضميرا وقد يكون أحد المشتقات ، وهو عام ((ما دل على مسمى))[٢٤] ويتميز الاسم عن الفعل بخلوه من الحدث والزمن بعكس الفعل الذي يشترط اقتران حدثه بزمن وبخلو الاسم من الزمن تكون الجملة الاسمية خالية من الزمن ((فهي جملة تصف المسند إليه بالمسند ، ولا تشير الى حدث ولا الى زمن))[٢٥] وعلى أساس الدلالة الأصلية للاسم في خلوه من الحدث والزمن ترى الأخبار بالجملة الاسمية يحمل أبعادا تختلف عما يحملها الإخبار بالجمل الفعلية .

ما حمله الاسم من أبعادا اعتمادا على أصل وضعه : –

للاسم أبعاد خاصة تجعله بتفرد بها عن الفعل بالجملة ، ويكتسب الاسم هذه الأبعاد بخلوه من الحدث والزمن وخلوه منهما يجعل له دلالة الثبوت في الجملة وعليه تكون الجملة الاسمية في أصل وضعها التركيبي من المبتدأ والخبر ((تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غير بدون نظر الى تجدد ولا استمرار))[٢٦].

فإذا أريد إثبات صفة في شيء معين أخبر بالاسم ، وإذا أريد تجدد الصفة واستمرارها أخبر بالفعل كما في قوله تعالى ((وجاء أخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم منكرون))[٢٧] فإن إنكارهم له أمرا مستمر فيما سبق ولحق فأخبر عنه بالجملة الاسمية بعكس معرفته إياهم فحين أراد القرآن الكريم الإخبار فقط تصدر الجملة الفعل وهو (فعرفهم) ، وحين أراد الإثبات والتأكيد تصدرها الاسم (وهم له منكرون) أي إن إنكارهم لها أمر مستمر فهم لم يعرفوه ولن يعرفوه حتى يعلن هو عن نفسه في قوله تعالى على لسانه (عليه السلام) ((... قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا ....))[٢٨].

إذن الإخبار بالجملة الاسمية أوفى وأوسع في دلالاتها من الإخبار بالجمل الفعلية في إنها تدل على الثبوت وفي سورة يوسف دلت الجملة بإسميتها على بعدين لهما علاقة بالسياق : –

أ – الاستمرار : – وهو قد يكون :

١ – استمرارا ثبوتيا ٢ – استمرارا تجدديا

فإذا كان خبرها مفردا أو جملة اسمية دلت على الثبوت ، أما إذا كان خبرها جملة فعلية حملت الجملة دلالة التجدد كما سنرى .

١ – الاستمرار الثبوتي :

الاسم في أصل وضعه يفيد الثبوت وعليه فإنه حين يكون المقام مقام ثناء على الشخص ويراد إثبات صفة ما في شخصه بالرغم من استمراره عليها ، أي هي صفة مستمرة ولكن يراد إثباتها عندئذ يخبر بجملة اسمية ، كما في قوله تعالى ((.... ألا ترون إني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين))[٢٩] . الآية قيلت على لسان يوسف (عليه السلام) الى أخوته عندما جاءوا إليه في سنين القحط عندما أصبح عزيز مصر .

فالقرآن الكريم قد أخبر عن فعل الكيل بفعل (أوفى) وعن صفة الإكرام بجملة اسمية ، وكلاهما يدل على إنه (عليه السلام) مستمر في إيفاء الكيل وفي إكرام الضيف ، ولكن الفرق بين الاثنين ، إنه لما أراد الاستمرار التجددي أخبر عنه بالفعل (أوفي الكيل)) فهو عادة مستمرة ومتجددة عنده (عليه السلام) ، بحكم مركزه الاجتماعي الذي يملي عليه أن يكون الإيفاء بالكيل عنده صفه متجددة ، وحين أراد ثبوت الصفة على الرغم من استمرارها أخبر عنها بالاسم (وأنا خير المنزلين) على إن صفة الكرم فيه ثابتة وليست متجددة واكتسبت ثبوتها من الجملة الاسمية ، فعندما أراد القرآن ثبوت ما هو مستمر أخبر عنها بالاسم(وأنا خير المنزلين)ولما أراد تجدده أخبر عنه بالفعل(أوفي الكيل)

وللاختلاف بين دلالتي كل من الجملتين (الفعلية والاسمية) في الأخبار بهما ، ترى القرآن الكريم إذا أراد وصف الكفار والمنافقين والمشركين أخبر عنهم بالجملة الاسمية لثبوت صفة الكفر فيهم مع استمرارها عندهم ، أما إذا أراد تجدد صفة الإيمان عندهم أتى بالجملة الفعلية ، كما في قوله تعالى ((وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون))[٣٠]. فبما إنهم لم يثبتوا على إيمانهم جاء الخبر بالفعل ، ولما كان كفرهم ثابتا أخبر عنه بالاسم .

وهذا ما نجده في قوله تعالى في سورة يوسف ((وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون))[٣١] . وفي هذه الآية قال ((ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وعامر الشعبي ، وأكثر المفسرين : إن معنى هذه الآية إن أكثر الناس ، وهم الكفار ما كانوا يؤمنون بالله بتوحيدهم له في ربوبيته إلا وهم مشركون به غيره في عبادته))[٣٢] .

أي إن إيمانهم بالله على إنه خالقهم ، فهم ليسوا ثابتين على إيمانهم به ، لأن ذلك الإيمان مرتبط باشراكهم معه غيره في العبادة . وعليه يكون إشراكهم أكثر ثباتا في نفوسهم من الإيمان ، لذلك يخبر عن الشرك في نفوسهم بجملة اسمية ، وعن إيمانهم المتجدد بجملة فعلية .

٢ – الاستمرار التجددي :

وفي بعض الأحيان تأتيك الجملة اسمية ولكنها تحمل دلالة التجدد شأنها شأن الفعلية وهذا ((إذا كان خبرها فعلا))[٣٤] . كما في قوله تعالى ((... وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون))[٣٥] فجملة (وهم يمكرون) حملت دلالة الاستمرار التجددي

لا الثبوتي – كما سبق – وذلك لأن خبرها وقع جملة فعلية وهي (يمكرون) وهذا ما ثبت فيها دلالة التجدد شأنها شأن الجملة الفعلية . ليظهر إن مكرهم كان وما زال مستمرا حتى بعد إلقائهم لأخيهم بالجب واستمرارية مكرهم بعد ذلك مع أبيهم عندما جاءوه بالقميص ((وجاءوا أباهم عشاء يبكون))[٣٦] ((وجاءوا على قميصه بدم كذب))[٣٧]. هذا كله يدل على إن مكرهم مستمر مع أبيهم . فالجملة الفعلية (يمكرون) الواقعة خبرا هي التي أعطتنا هذا الاستمرار والتجدد .

وهكذا ترى القرآن الكريم أذا أراد الإخبار فقط أتى بالجملة الفعلية وإذا أراد إثبات شيء لشيء واستمراره عليه كعادة فيه أتى بالجمة الاسمية. وهذا كله لا يعود لدلالة الجملة ذاتها ، بل يعود الى دلالة الاسم والفعل ذاتهما في أصل وضعهما ضمن السياق .

الخاتمـــــــة :

الدلالة الزمنية للجملة الخبرية في سورة يوسف (عليه السلام) بحث تضمن تمهيدا ، أشار فيه الباحث الى خصائص الجملة الخبرية في سورة يوسف(عليه السلام) ، وقيمتها البلاغية ، بما تحويه من تنوع وانسجام بين الأسلوب والسياق الذي ترد فيه مستفيدا من عناصر الجملة من مفردة أو بينة صرفية أو تأليف جزئي أو تام ، وما الى ذلك من وجوه التأليف ، يضاف الى ذلك النغمة الصوتية .

وانتظم البحث في مبحثين رئيسيين هما : الفعل ودلالته الزمنية في الجمل الخبرية ، والإخبار بالاسم وأبعاده في الجملة .

وهكذا كان الإدلاء بالخبر في السورة الكريمة بجمل فعلية حينا واسمية حينا آخر ، ودلالة كل من الاسم والفعل في تلك الجمل اعتمادا على ما يدل عليه الفعل من(زمن وحدث) أو ما يدل عليه الاسم من الثبوت والتأكيد .

وترى إن للتأكيد والإثبات جملا خبرية واسمية ، وإن للتجدد والتغيير والحدوث جملا خبرية فعلية وذلك تناسبا مع السياق . فحين يكون السياق يتحدث عن أحداث ستحدث وستقع لا محالة فلا بد أن يخبر عنها بفعل لكون الفعل يشتمل على حدث وزمن ، وهذا يناسب سياقه . ولكن حين يكون السياق سياق محاججة أو جدل فلا بد أن يخبر عنه باسم بدلالة الاسم في أصل وضعه على التأكيد . فللسياق أثر بارز في تحديد كيفية الإدلاء بالخبر من جمل فعلية أو أسمية كما تعرفنا عليه سابقا .

الهوامـــش

* البحث المستل في رسالة الماجستير الموسومة (سورة يوسف علية السلام دراسة بلاغية للطالبة امنه احمد عباس ، باشراف : ا ٠ د عبد الباسط خليل محمد ، و ا ٠ م فالح حمد احمد

١- النحو الوافي ، د. عباس حسن ، ١ / ١٥ .

٢- الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، د. فاضل صالح السامرائي ، ص ٢٧ – ٢٨ ، منشورات المجمع العلمي ، بغداد ، ١٩٩٨ .

٣-جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي ، ص٥٣.

٤- علم المعاني ، عبد العزيز عتيق ، ص٧٤.

٥- علم المعاني ، د. قصي سالم ، ص٧٧.

٦- الإيضاح ١ / ١٣ .

٧- من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس ، ص ١٦٦ .

٨- اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، ص ١٠٤.

٩- اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، ص١٠٥.

١٠- يوسف / ٣٢ .

١١- الكشاف للزمخشري ، ٢ / ٣٢٠ .

١٢- يوسف / ٥٧.

١٣- القمر / ١ .

١٤- النحل / ١ .

١٥- من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس ، ١٧٣.

١٦- المثل السائر لابن الأثير ، تحقيق د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة ، ٢ / ١٨٥ .

١٧- يوسف / ٧٦ .

١٨- روح المعاني للآلوسي ، ١٣ / ٣٠ .

١٩- يوسف / ٣٠ .

٢٠- روح المعاني للآلوسي ، ١٢ / ٢٢٦.

٢١- يوسف / ٥٩ .

٢٢- يوسف / ٣٦ .

٢٣- يوسف / ٧١ .

٢٤- اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، ص ٩٥.

٢٥- م. ن . ، ص١٩٣.

٢٦- جواهر البلاغة ، الهاشمي ، ص٧٢ ،.

٢٧- يوسف / ٥٨ .

٢٨- يوسف / ٩٠ .

٢٩- يوسف / ٥٩ .

٣٠- البقرة / ١٤ .

٣١- يوسف / ١٠٦ .

٣٢- أضواء البيان للشنقيطي ، ٣ / ٧٤ .

٣٣- جواهر البلاغة للهاشمي ، ص٧٣ .

٣٤- يوسف / ١٠٢ .

٣٥- يوسف / ١٦ .

٣٦- يوسف / ١٨ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

١ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (جـ ٣) ، محمد بن محمد المختار الشنقيطي ، عالم الكتب ، بيروت ، د . ت .

٢ – الإيضاح في علوم البلاغة (جـ ١) ، الخطيب القزويني ، تحقيق : لجنة من أساتذة الأزهر ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة د . ت .

٣ – الجملة العربية ، تاليفها وأقسامها ، د . فاضل صالح السامرائي ، منشورات المجمع العلمي ، بغداد ١٩٩٨ .

٤ – جواهر البلاغة ، السيد احمد الهاشمي ، ط ١٢ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ١٩٦٠ .

٥ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، (جـ ١٢ – ١٣) للعلامة شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي ،
عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية بإذن من ورثة المؤلف بخط وإمضاء علامة العراق (المرحوم السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي) ، دار الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د . ت .

٦ – علم المعاني ، د . عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤ .

٧ – علم المعاني ، د . قصي سالم علوان ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٥ .

٨ – الكشاف عن حقائق تنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (جـ ٢) ، للزمخشري ، طهران ، د . ت .

٩ – اللغة العربية معناها ومبناها ، د . تمام حسان ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .

١٠ – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير ، قدمه وحققه وعلق عليه د . احمد الحوفي ،ود . بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة .

١١ – من أسرار اللغة ، د . إبراهيم أنيس ، ط ٥ ، مطبعة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥ .

١٢ – النحو الوافي (الجزء الأول)،د.عباس حسن ، ط ٥،دار المعارف،مصر ، د. ت .